توفيق اللّه تعالى للعبد في ضوء تفسير السعدي

Tawfīq of Allah to His Servants in the Light of Al-Saadi's Exegesis

إعداد

By

د. نوال بنت ناصر الثويني

Dr. Nawaal Nasir Althuwayni

أستاذ مشارك بقسم القرآن وعلومه

Associate Professor of Quranic Studies

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

Shariah and Islamic Studies College, Al-Qassim University

البريد الالكتروني: 3599@qu.edu.sa

Email: 3599@qu.edu.sa

ملخص البحث

لقد أعتنى المفسرون بتفسير لفظ التوفيق وبينوا دلالاته ومعانيه، وممن أعتنى بذلك الشيخ عبد الرحمن السعدي- رحمه الله - في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) حيث أورد لفظ توفيق الله في التفسير أكثر من ٨٥ مرة فيما يزد على ١٨ دلالة ومعنى، ويتلخص هذا البحث في حصر هذه المواطن وأتناولها بالدراسة الموضوعية، وقد جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: التوفيق للهداية وفيه: أنواعها، وأسباب حصولها ، وأسباب الحرمان منها.

المبحث الثاني: التوفيق للإيمان والعمل الصالح وفيه: البشرى لمن وفقه الله للإيمان والعمل الصالح، وحفظ الله تعالى لإيمان العبد وتوفيقه لما يزيده، والدعاء بالتوفيق للعمل الصالح .

المبحث الثالث: توفيق الله تعالى العبد للتوبة وفيه: أنواع التوبة، وأسباب التوفيق لها .

المبحث الرابع: التوفيق للثبات على الطاعات وفيه: توفيق الله للعبد لشكره، والصبر على بلائه.

المبحث الخامس: فضائل توفيق الله للعبد وفيه :التوفيق عصمه، ونعمه، ورحمة، ومنة، واصطفاء، من المولى عز وجل.

المبحث السادس: أسباب توفيق الله وفيه: التقرب إلى الله بالنوافل، والدعاء، والالحاح على الله بطلب عونه وتوفيقه، تقوى الله توجب معيته، وإرادته، وإذنه سبحانه، والمداومة على فعل الطاعات.

المبحث السابع: موانع توفيق الله للعبد ويكون بعدم المبادرة للتوبة والصدق فيها، وكتم العلم وإيثار الضلال على الهدى، والبعد عن ذكر الله تعالى .

الكلمات المفتاحية: توفيق الله، تفسير السعدي.



Abstract

Commentators have taken care of the interpretation of the term Al-Tawfiq (Successfulness / special guidance given by Allah to his worshipers) and explained its connotations and meanings. Among those who took care of this was Sheikh Abdul Rahman Al-Saadi - may Allah have mercy on him - in his interpretation) Tayseer Al Karim Al Rahman In The Interpretation Of The Words Of Al Mannan) where the word Tawafiq Allah (Successfulness given by Allah) was mentioned in the interpretation more than 85 times with more than 18 connotations and meanings, This research to be summarized in indication of these positions and dealt with the same in an objective study, whereas it was explained as follows:

Chapter I: Successfulness for guidance, which includes: types, reasons for its occurrence, and the reasons for depriving the same.

Chapter II: Successfulness of faith and good deeds, which includes: the glad tidings for those whom Allah guides to faith and good deeds, and Allah Almighty preserves the faith of the servant of Allah and grants him success in what increases him, and prays to get successfulness for good deeds.

Chapter III: Allah Almighty granting the servant the repentance, which includes: types of repentance, and the reasons to be granted the same.

Chapter IV: Successfulness for steadfastness in obedience, which includes: Allah’s tawfīq for the servant to thank Allah, and to be patient for Allah affliction.

Chapter V: the virtues of Allah’s tawfīq to his servant, which includes: successfulness is infallibility, grace, mercy, favor, and selection by Allah Almighty.

Chapter VI: The reasons for tawfīq of Allah, which includes: getting closer to Allah through supererogatory prayers, supplications, urging Allah to seek His help and successfulness, piety of Allah that necessitates His help, His will, His permission, Glory be to Allah, and perseverance in doing acts of obedience.

Chapter VII: Impediments of tawfīq of Allah Almighty to be granted to the his servants / worshipers, lack of initiative to repent and being truthful thereabout, concealing knowledge and preferring misguidance to guidance, And to be away from the remembrance of Allah Almighty.

Keywords: Allah Almighty granting, Exegesis of Al-Saadi.



مُقَدِّمَة

الحمد لله، نحمده، ونستعين به، ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، من يهده الله فلا مضل له، من يضلل فلا هادي له، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ونسأله سبحانه العون والتوفيق في شأننا كله.

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨]، ذكر ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذه الآية قوله: (وما توفيقي إلا بالله) قال: "وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعنّي عليه لم أصب الحق فيه"(١).

ويقول الماتريدي عند تفسيره لهذه الآية: "قَالَ بَعْضُهُمْ: التوفيق: هو صفة كل مطيع، والخذلان: هو صفة كل عاص، وقَالَ بَعْضُهُمْ: التوفيق: هو ما يوفق بين فعله وقوله في الطاعة، والخذلان ما يفرق بين قوله وفعله في المعصية.

وعندنا: التوفيق: هو أن يوفق بين عمل الخير والاستطاعة، والخذلان: هو أن يفرق بين عمل الخير والاستطاعة، أو أن نقول: هو أن يوفق بين عمل الشر والاستطاعة، وهما واحد"(٢). ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في معنى الآية أي: "وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي"(٣).

ولما كان أعظم نعم الله تعالى على خلقه أن يوفقهم في جميع شؤون دينهم ودنياهم، فقد أعتنى المفسرون بتفسير لفظ التوفيق وبينوا دلالاته، ومعانيه وممن أعتنى بذلك الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حيث ورد لفظ التوفيق ومشتقاته في تفسيره أكثر من ٨٥ مرة فيما يزد على ١٨ دلالة.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥ / ٤٥٤).

(٢) تفسير الماتريدي (٦/ ١٧٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٨٧).

وقد عزمت أمري بعد طلب توفيق الله وعونه أن أحصر هذه المواطن وأتناولها بالدراسة في بحث أسميته (توفيق الله تعالى للعبد في ضوء تفسير السعدي).

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث في الحاجة إلى اخراج كنز من كنوز القرآن الكريم؛ وبإبراز جهود العلماء من خلال تفاسيرهم وتبسيط الوصول للمعلومة بأسلوب مفهوم لعامة الناس من خلال التساؤلات التالية:

١. ما أسباب الحصول على توفيق الله تعالى.
٢. بما يكون توفيق الله تعالى لعباده للثبات على الطاعات.
٣. ماهي فضائل توفيق الله تعالى لعباده.
٤. ما موانع الحصول على توفيق الله تعالى لعباده.

أهداف البحث:

١. بيان أهم أسباب الحصول على توفيق الله تعالى.
٢. بيان أهم أسباب توفيق الله تعالى للثبات على الطاعات.
٣. إبراز أهم فضائل توفيق الله تعالى للعبد.
٤. ذكر أهم موانع حصول توفيق الله تعالى للعبد.

منهج البحث:

منهج استقرائي تحليلي، استقراء لكامل كتاب التفسير للوقوف على مواضع دلالات الآيات التي تحمل في مضامينها توفيق الله تعالى، ومن ثم تحليل هذه الآيات لبيان أهداف البحث.

وخطة البحث:

التمهيد وفيه: دراسة موجزة لحياة الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ.

المباحث ستكون على النحو التالي:

المبحث الأول: التوفيق للهداية وفيه:

المطلب الأول: أنواع الهداية

المطلب الثاني: أسباب حصول توفيق الهداية.

المطلب الثالث: أسباب الحرمان من توفيق الهداية:

المبحث الثاني: التوفيق للإيمان والعمل الصالح وفيه:

المطلب الأول: البشرى لمن وفقه الله للإيمان والعمل الصالح

المطلب الثاني: حفظ الله تعالى لإيمان العبد وتوفيقه لما يزيده.

المطلب الثالث: الدعاء بالتوفيق للعمل الصالح

المبحث الثالث: توفيق الله تعالى العبد للتوبة وفيه:

المطلب الأول: أنواع التوبة

المطلب الثاني: أسباب التوفيق للتوبة.

المبحث الرابع: التوفيق للثبات على الطاعات وفيه:

المطلب الأول: التوفيق للشكر.

المطلب الثاني: التوفيق للصبر

المبحث الخامس: فضائل توفيق الله للعبد وفيه:

أولاً: التوفيق عصمة من المولى عز وجل.

ثانياً: التوفيق نعمة من المولى عز جل.

ثالثاً: التوفيق رحمة من المولى عز وجل.

رابعاً: التوفيق منَّة من الله تعالى.

خامساً: توفيق الله تعالى اصطفاء للعبد.

المبحث السادس: أسباب توفيق الله وفيه:

أولاً: التقرب إلى الله بالنوافل.

ثانياً: الدعاء والالحاح على الله بطلب عونه وتوفيقه.

ثالثاً: تقوى الله التي توجب معيته سبحانه.

رابعاً: إرادة الله وإذنه سبحانه.

خامساً: المداومة على فعل الطاعات.

المبحث السابع: موانع توفيق الله تعالى للعبد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



تمهيد

وفيه : ترجمة موجزة للشيخ السعدي. رحمه الله.

اسمه ومولده:[1]

هو العلامة الورع الزاهد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة وتوفيت أمه وله أربع سنين ثم توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره فعطفت عليه زوجة والده وصارت تشفق عليه أشد من شفقتها على أولادها وكذلك أخوه محمد عطف عليه فنشأ الشيخ نشأة حسنة فدخل مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه وهو في الحادية عشرة من عمرة وحفظه عن ظهر قلب وهو في الرابعة عشرة من عمره.

مشائخه[2]:

بعد حفظه القرآن اشتغل بطلب العلم، فقرأ على إبراهيم بن حمد بن جاسر في الحديث وقرأ على عبد الكريم الشبل في الفقه والنحو وقرأ على الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله والنحو وهو أكثر من قرأ عليه حيث لازمه ملازمة تامة حتى توفي. وقرأ على الشيخ عبد الله بن عائض وعلى الشيخ صعب بن عبد الله التويجري وعلى الشيخ علي السناني والشيخ علي بن ناصر أبو وادي قرأ عليه في الحديث والأمهات الست وأجازه في ذلك وقرأ على الشيخ محمد الشنقيطي قرأ عليه في التفسير والحديث ومصطلح الحديث أثناء إقامة الشنقيطي بمدينة عنيزة.

(١) مشاهير علماء نجد (٢٥٦)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢١٨ ـ ٢١٩)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٦).

(٢) مشاهير علماء نجد (٢٥٧)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢٢٢)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٦).

تلاميذه[1]:

ولما بلغ من العمر ثلاثا وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم ويقضي أوقاته في ذلك، وفي الاكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم بتمعن وتفهم فانتفع بهذه المؤلفات غاية الانتفاع.

أخذ عنه العلم خلق كثير منهم هؤلاء المذكورين أدنا:

١. الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام.
٢. الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع.
٣. الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام.
٤. الشيخ محمد بن منصور الزامل.
٥. الشيخ علي بن محمد الزامل.
٦. الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين.
٧. الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.
٨. الشيخ عبد الله المحمد العوهلي.
٩. الشيخ عبد الله بن حسن آل بريكان.

وقد أخذ عنه العلم خلق كثير ذكر منهم ما يزيد على مائة وخمسين تلميذاً في كتب التراجم لم أذكرها هنا تجنباً للإطالة.

مؤلفاته[2]:

ألف مؤلفات كثيرة نافعة نذكر منها ما يأتي:

١. تفسير القرآن الكريم المسمى تيسير الكريم المنان.
٢. حاشية على الفقه استدراكا على جميع الكتب المتداولة والمؤلفة في المذهب الحنبلي.

---

(١) مشاهير علماء نجد (٢٥٧ـ٢٥٨)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢٣٦).

(٢) مشاهير علماء نجد (٢٥٨ـ ٢٦٠)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢٢٥ـ ٢٢٧)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٧).

٣. إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب مرتبة على طريقة السؤال والجواب.

٤. تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

٥. الدرة المختصرة في محاسن الإسلام.

٦. الخطب العصرية.

٧. القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٨. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو توضيح لنونية الإمام ابن القيم _رحمه الله_.

٩. توضيح الكافية الشافية.

١٠. وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني.

١١. القول السديد في مقاصد التوحيد.

١٢. منهج السالكين مختصر في أصول الفقه.

١٣. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

١٤. الرياض الناضرة.

١٥. بهجة قلوب الأبرار.

١٦. الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

١٧. الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

١٨. منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

١٩. طريق الوصول إلي علم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول.

٢٠. الدين الصحيح يحل جميع المشاكل.

٢١. الفروق والتقاسيم البديعة النافعة.

٢٢. الأدلة القواطع والبراهين في أبطال أصول الملحدين.

٢٣. فوائد مستنبطة.

٢٤. الرسائل المفيدة سؤال وجواب في أهم المهمات.

٢٥. شرح تائية شيخ الإسلام ابن تيمية التي رد بها على القدرية.

٢٦. الفتاوى السعدية مجلد ضخم.

٢٧. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

٢٨. فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.

٢٩. الدلائل القرآنية.

٣٠. التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.

وقد زادت مؤلفاته ـ رحمه الله ـ عن أربعة وأربعين مؤلفاً وما ذكر هو للاستشهاد لا للحصر.

وفاته ـ رحمه الله ـ[١]:

توفي ـ رحمه الله ـ قبل فجر يوم الخميس الموافق الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ألف وثلاث مائة وست وسبعين من الهجرة النبوية الشريفة.



(١) مشاهير علماء نجد (٢٦٠)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢٥٠)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٧).

المبحث الأول

التوفيق للهداية

المطلب الأول

أنواع الهداية

ذكر العلماء أن الهداية نوعان: هداية عامة وهداية خاصة، قال الماتريدي ـ رحمه الله ـ: "الهداية هدايتان: هداية إصابة الحق، وهداية العلم بالحق، وهي هداية البيان، فهذه الهداية مما يشترك فيها المسلم والكافر جميعًا، وأما هداية إصابة الحق: فهي خاصة للرسل والأنبياء والمسلمين جميعًا"(١).

ذكر الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ أن هداية الله تعالى للعبد نوعان :هداية توفيق وهداية بيان فقال: "ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة"(٢).

ومعناه أن هداية التوفيق هداية خص الله تعالى بها نفسه، فالأنبياء عليهم السلام والعلماء الواجب عليهم البيان فقط؛ وأما الهداية فهي خاصة بالله وحده يوفق لها من يشاء ويحرمها من يشاء.

يقول المولى عز وجل: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾[الجن: ٢٣]، يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: "إلا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بتوفيق الله، فأما الكفر والإيمان فلا أملكهما، فعلى هذا يكون مردودا إلى قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾[الجن: ٢١]، أي لا أملك لكم إلا أن أبلغكم. وقيل: هو استثناء ومنقطع من قوله:

---

(١) تفسير الماتريدي (٤ / ١٥٣) لباب التأويل في معالم التنزيل (١/ ٢٠٦) اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٤٢٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٠).

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الجن: ٢١]، أي إلا أن أبلغكم أي لكن أبلغكم ما أرسلت به(١).

ويقول المولى عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، يقول السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: "إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك"(٢).

وذكر السعدي -رحمه الله- ذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النحل: ٨٢]، فقال: "أي ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير، فإذا أديت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها"(٣).



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٦) وينظر، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم (٤/ ٤٠٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٤٧)، وبهذا قال أهل التفسير، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/ ١٩٤) وتفسير الماوردي (١/ ٤٢٢) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٥٠٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٤٦)، وبهذا قال أهل التفسير ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٨١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢٧٢) تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ١٩٣) الجامع الأحكام القرآن (١٠/ ١٦١).

المطلب الثاني

أسباب حصول توفيق الهداية

ذكر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في مضامين تفسيره أسباب توفيق المؤمن لهداية الله تعالى من أبرزها:

أولاً: إرادة الله سبحانه للأمر وفي هذا يقول سبحانه لنبيه محمداً عليه الصلاة والسلام:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص: ٥٦].

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ "يخبر تعالى أنك يا محمد -وغيرك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه وتعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله، وأما إثبات الهداية للرسول عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى: ٥٢]، فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا"(١).

ثانياً: منّة الله تعالى: يقول المولى عز وجل على لسان أهل الجنة:

﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧]، يقول السعدي – رحمه الله-: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ أي: العذاب الحار الشديد حره"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٢٦٠)، وبهذا قال بعض المفسرين ينظر: جامع البان في تأويل آي القرن (١٩/ ٥٩٨) تفسير الماتريدي (٤/ ٣٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٨١٥)، وبهذا قال بعض أهل التفسير، ينظر: لباب التفاسير (ص ٣-٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٧٠)، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ١٥٠).

ثالثاً: الصدق في طلب الحق:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: "وفي قوله ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: هو الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بُيّن له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق"(١).

رابعاً: ذكر الله تعالى ودعاؤه، وفي ذلك يقول المولى عز وجل:

﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف: ٢٤].

وقد بين الشيخ ذلك عند تفسيره لهذه الآية فقال: الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، أمره الله أن يقول: ﴿ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد وحري بعبدٍ تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٥) بين العلماء معنى الشك فقال الماتريدي: والشك هو الذي فقد ظاهر أسبابه، أو له استواء الأسباب، ومقابلة بعضها بعضًا، فهو المتردد بين الحالين، لا يقر قلبه على شيء، واليقين هو الذي له الأسباب الظاهرة التي ليس لها خوف الزوال والانتقال، والله أعلم، تفسير الماتريدي (٩/ ٣٣٥)، وقال الراغب: إن الشك هو وقوف النفس بين الشيئين المتقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارة، تفسير الراغب (١/ ١١٥)، وقال الرازي: والشك هو أن يبقى الإنسان متوقفا بين النفي والإثبات. مفاتيح الغيب (١٨/ ٣٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٧٤) وبهذا قال بعض أهل التفسير، ينظر: لباب التفاسير (ص ١٢٢٦)، تفسير ابن جزي (ص٤٦٣)، تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٥٠).

المطلب الثالث

أسباب الحرمان من توفيق الهداية

أولاً: إرادة الله سبحانه، وفي هذا يقول عز وجل رداً على منكري النبوة من أهل الكتاب: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: "رد الله عليهم بأن ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى، فإن الهدى إما علم الحق، أو إيثاره، ولا علم إلا ما جاءت به رسل الله، ولا موفق إلا من وفقه الله، وأهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلا وأما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم وسوء مقاصدهم، وأما هذه الأمة فقد حصل لهم ولله الحمد من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كل أحد، فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمر الله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه"[1].

ثانياً: الحرمان من الانتفاع بالسماع: وفي هذا يقول المولى لنبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس: ٤٢].

يخبر تعالى عن بعض المكذبين للرسول، ولما جاء به، أن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، ولا مُجدٍ على أهله خيرًا، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا قال: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ وهذا الاستفهام، بمعنى النفي المتقرر، أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصًا إذا كان عقلهم معدومًا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٣٥)، وبهذا قال بعض أهل التأويل ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦/ ٥١٦)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٦٠)، روح البيان (٢/ ٥٠).

فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذبون، كذلك ممتنع إسماعك إياهم، إسماعًا ينتفعون به، وأما سماع الحجة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة، فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات المتعلقة بالخير(1).

ثالثاً: الضلال وفي هذا يقول المولى عز وجل:

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣].

بعد أن ذكر الله تعالى أثر سماع القرآن على قلوب عباده المتقين المنتفعين به المتأثرين بعظمته، أكد على أن هذا الانتفاع والتأثر إنما هو بتوفيقه سبحانه لعباده المتقين، وحجبه هذا الهدى والانتفاع لمن هم على ضلال، نسأل الله العافية والسلامة.

وفي هذه الآية يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: "﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابه، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المبين والشقاء"(2).



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٦٥)، وبهذا قال بعض أهل التفسير ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥/ ٩٥) تفسير الماتريدي (٩/ ١٦٧) التفسير البسيط (١/ ٢٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٧٢٢)، وبهذا قال بعض أهل التفسير ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٦/ ٢٠٦) ولباب التفاسير (ص ٩٢٧) والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣١).

المبحث الثاني

التوفيق للإيمان والعمل الصالح

المطلب الأول

البشرى لمن وفقه الله للإيمان والعمل الصالح

يقول المولى عز جل لنبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥].

إن المتمعن في هذه الآية الكريمة ليدرك أن أعظم بشارة هي؛ أن يوفق العبد للإيمان والعمل الصالح، الذي تكون نتيجته هذه البشرى العظيمة من المولى عز وجل، بدخول الجنة والتمتع بنعيمها.

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: "وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرى عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم"(١).



المطلب الثاني

حفظ الله تعالى لإيمان العبد وتوفيقه لما يزيده

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، "أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هي من الممتنعات عليه، فأخبر أنه ممتنع عليه، ومستحيل، أن يضيع إيمانكم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن مَنَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه، وحفظه نوعان: حفظ عن الضياع والبطلان، بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن المقلقة، والأهواء الصادة، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٧).

لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره، وثوابه، وحفظه من كل مكدر"(١).



المطلب الثالث

الدعاء بالتوفيق للعمل الصالح

ذكر ذلك الشيخ ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

فقال: "فيداه سحاء (٢) الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارًا، يفرج كرباً، ويزيل غما، ويغني فقيرًا، ويفك أسيرًا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلاً ويعطي فقيرا عائلاً ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم" (٣).



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧١).

(٢) أي: دائمة الصب والهطل بالعطاء، يقال سح يسح سحا فهو ساح، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٣٨).

المبحث الثالث

التوفيق للتوبة

يقول المولى عز وجل: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧]، الآية الكريمة تحمل معناً تربوياً عظيماً في تعليم البشرية من بعد آدم عليه السلام؛ أن التوبة لله تعالى وحده، وأن قبولها تفضلاً منه سبحانه، ورحمة بعبادة، بشرط اكتمال أركانها.

يقول الإمام الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ عند تفسيره لهذه الآية: "أن الله جل ثناؤه لقَّى آدمَ كلماتٍ، فتلقَّاهُنّ آدمُ من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقِيله إياهنّ وعملِه بهنّ إلى الله من خطيئته، معترفًا بذنبه، متنصِّلا إلى ربه من خطيئته، نادمًا على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه"(١).

وقد ذكر الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم وألقاها كانت بتوفيق الله تعالى لآدم عليه السلام، فلو لم يكن توفيق الله له لما اهتدى لها فقال ــ رحمه الله ــ عند تفسيره لقوله تعالى: (فتاب عليه) "أي قبل توبته، أو وفقه للتوبة، وكان ذلك في يوم عاشوراء في يوم جمعة"، وقيل: لما كانت الكلمات هي المنقذة لآدم بتوفيق الله تعالى له لقبول إياها ودعائه بها كانت الكلمات فاعلة وكأن الأصل على هذه القراءة".(٢)

 

المطلب الأول

أنواع التوبة

ذكر الشيخ رحمه الله أنواع التوبة في أكثر من موضع فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧]، قال ـ رحمه الله ـ " توبة الله على عباده نوعان: توفيق

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٥٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٢٤ـ٣٢٦)، وتحبير التيسير في القراءات العشر (ص٢٨٥).

منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد، فأخبر هنا -أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرماً منه وجودًا، لمن عمل السوء أي: المعاصي {بِجَهَالَةٍ} أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تؤل إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعا. وأما بعد حضور الموت فلا يُقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع"(1).

وعند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، قال – رحمه الله تعالى –: "وتوبته نوعان: توفيقه أولاً ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانيا"(2).

وأيضاً عند قوله سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٢]، قال -رحمه الله تعالى -: "وتوبته على عبده نوعان: الأول: التوفيق للتوبة. والثاني: قبولها بعد وقوعها منهم"(3).



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٧١)، تفسير الماتريدي (٣/ ٧٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٥٠).

المطلب الثاني

أسباب التوفيق للتوبة

إن اختيار الله لعبد من عباده وتكريمه على غيرة بالتوفيق للتوبة وعدم الاستمرار على الذنب لهي نعمة عظيمة، لها أسبابها وقد ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ في مضامين تفسيره أسباب توفيق الله للعبد للتوبة من أبرزها:

أولاً: الإقلاع عن الذنب والندم عليه؛ فعند تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧]، قال ــ رحمه الله تعالى ــ : "ويحتمل أن يكون معنى قوله: {مِنْ قَرِيبٍ} أي: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفاتٍ راسخةً فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة، والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على نفسه باب الرحمة، نعم قد يوفق الله عبده المصر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} فمِن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقَه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدمَ توفيقه والله أعلم"(١).

ثانياً: الاستغفار والمداومة عليه من أسباب توفيق الله للعبد للتوبة، يقول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٧٢)، وبهذا قال بعض أهل التفسير، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/ ٨٨)، تفسير الماتريدي (٣ / ٧٧)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٥٥).

رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤]، أي: "لتاب عليهم بمغفرته ظلْمَهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها"(١).

ثالثاً: رحمة من الله لعبادة بتوفيقهم للتوبة يقول المولى عز وجل:

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[التوبة:٥]، يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ: "يغفر الشرك فما دونه، للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبولها منهم"(٢).



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٨٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٢٩).

المبحث الرابع

التوفيق للثبات على الطاعات

من أعظم نعم الله تعالى على العبد التوفيق لفعل الطاعات فإذ وفق العبد لاغتنام فرص الطاعات؛ تحققت له الأمنيات؛ وتتالت عليه الخيرات ونزلت البركات، ومن ثم تروض النفس على فعل الطاعات وتجنب المنهيات والمحرمات حتى تألف الطاعات وتشتاق إليها، وتكره المحرمات وتبتعد عنها ومن أعظم الطاعات أن يوفق العبد للشكر والصبر والرضاء.

المطلب الأول

التوفيق للشكر

الشُّكْرُ: عِرْفانُ الإِحْسَانِ ونَحْوِه(١)، والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى، وكفر النعمة ضد ذلك(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٧]، يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: "وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر"(٣).

وشكر الله من صفات الأنبياء عليهم السلام يقول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام:﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾ [النمل: ١٩]، "سأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} أي: ووفقني

(١) المحيط في اللغة (٢/ ٢٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٢٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٤)، ينظر تفسير الماتريدي (٩/ ٥٣٣)، التفسير الوسيط (٣/ ٢٤).

أن أعمل صالحا ترضاه لكونه موافقا لأمرك مخلصا فيه سالما من المفسدات والمنقصات، {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ} التي منها الجنة فِي جملة {عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم"(١).

وقد قرن الله تعالى الشكر بعبادته تأكيداً على عظم الشكر وأن عبادته سبحانه توفيق منه للعبد وهي نعمة تستحق الشكر لتدوم فقال سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٦].

يقال: هذا الخطاب لجميع المؤمنين، أمرهم بأن يشكروا الله تعالى على ما أنعم عليهم، وأكرمهم بمعرفته، ووفقهم لدينه(٢).

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: "أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لله على توفيقه الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر"(٣).



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٦٠٣)، ينظر: تفسير التستري (ص١٤٤)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩/ ٤٤٠)، تفسير الماتريدي (٨/ ١٠٦).

(٢) تفسير بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ١٩٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧٢٩)، ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١٤).

المطلب الثاني

التوفيق للصبر

الصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ(١):

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ "الصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار، إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئا، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار"(٢).

يقول المولى عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]:

وهذه الآية لها تعلق بقوله:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥] الآية، وقبلها: ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢] والشكر يوجب زيادة النعم والابتلاء بما ذكر، ينافيه ظاهرا، وتوجيهه: أن إتمام الشرائع إتمام للنعمة، وذلك يوجب الشكر. والقيام بتلك الشرائع لا يمكن إلا بتحمل المشاق، فأمر فيها بالصبر، وأنه أنعم عليه أولاً فشكر، وابتلي ثانياً فصبر، لينال درجتي الشكر والصبر، فيكمل إيمانه(٣).

---

(١) ينظر المحيط في اللغة (٢/ ٢٢٠)، مختار الصحاح (ص١٧٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٧٥)، ينظر: تفسير الماتريدي (٥/ ٢٥٦)، وتفسير بحر العلوم (١/ ٤٩) وتفسير القشيري (١/ ٢٢٤).

(٣) تفسير البحر المحيط (٢ / ٥٤).

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه {مَعَ الصَّابِرِينَ} أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلا وشرفا، وأما المعية العامة، فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} وهذه عامة للخلق[1].



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٥) ينظر تفسير مفاتيح الغيب (٤/ ١٢٥) وتفسير اللباب في علوم الكتاب (٣/ ٧٨).

المبحث الخامس

فضائل توفيق الله للعبد

ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ من خلال تفسيره العديد من الفضائل التي يكتسبها العبد إذا حظي بتوفيق الله تعالى سأذكر شواهداً منها في هذا المبحث على سبيل الإشارة لا الحصر.

أولاً: التوفيق عصمة من المولى عز وجل

يقول المولى عز وجل:﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]:

ومن لطفه بهم وإحسانه إليهم أنه، لما {همت طائفتان} من المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وبنو حارثة ثبتهما الله تعالى نعمة عليهما وعلى سائر المؤمنين، فلهذا قال {والله وليهما} أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عما فيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما لما هما بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصمهما؛ لما معهم من الإيمان(١).

ثانياً: التوفيق نعمة من المولى عز جل

﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]:

جاء الخبر للمشركين أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث مَنَّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٤٥)، ينظر: تفسير القرآن العزيز (١/ ٣١٥)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٢٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٥٧)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٨٢) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٤٩).

ثالثاً: التوفيق رحمة من المولى عز وجل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣] أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، {لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا} لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم(١).

رابعاً: التوفيق منَّة من الله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]:

يقول السعدي رحمه الله: "يقول تعالى مبينا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق"(٢).

خامساً: توفيق الله تعالى اصطفاء للعبد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٩٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٥٧٤) البحر المحيط (٣/ ٧٢٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٧٢)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٨٨١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٨١).

قوله سبحانه:﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ هداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم[1].



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٩٢)، ينظر: تفسير الماوردي (٢/ ٥١١)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٠٧)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٥٠٨).

المبحث السادس

أسباب توفيق الله للعبد

من أعظم نعم الله تعالى على عباده أن يوفقهم لتدارس كتابه ومعرفة مضامينه والعمل به، ليحظوا بفضائله وينالوا من خيراته التي وعد الله بها عباده الصالحين.

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : "وقد أجمع العارفون على أن كل خيرٍ فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرٍّ فأصله خِذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يَكِلَك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخليَ بينك وبين نفسك؛ فإذا كان كل خيرٍ فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقارُ وصدقُ اللَّجأ والرغبة والرهبة إليه؛ فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مُرْتَجًا دونه، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنِّي لا أَحمِلُ همَّ الإجابة، ولكن همّ الدُّعاء؛ فإذا أُلهِمتُ الدُّعاءَ فإن الإجابة معه"[1][2].

والمتتبع لكتاب التفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) يجد فيه بيان لكلام ابن القيم، التي قد تخفى على عامة الناس، وفي هذا المبحث اجتهدت في إظهار ما أشار إليه الشيخ رحمه الله أنه من أسباب توفيق الله تعالى للعبد وهي على النحو التالي:

أولاً: التقرب إلى الله بالنوافل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]: أراد سائر الأعمال يعني فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات {فإن الله شاكر} مجاز لعبده بعمله {عليم} بنيته، والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق[3]

(١) لم أجده مسنداً، وذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٨/ ١٩٢)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٩).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ١٤١).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (ص١٤٠)، تفسير القرآن للسمعاني (١/ ١٦٠)، معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٧٥).

وقد أشار السعدي ـ رحمه الله ـ إلى أن قيام العبد بأعمال التطوع لله من أسباب توفيقه تعالى فقال:

{فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق[1].

ثانياً: الدعاء والالحاح على الله بطلب عونه وتوفيقه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: "الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق"[2].

ثم قال: "فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة"[3].

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٧)، ينظر: تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ١٤٠)، تفسير الإبجي (١/ ١١).

(٢)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٨٧)، ينظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (٢/ ٣٥٩)، التفسير القيم (ص ٢٤٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٨٧).

ثالثاً: تقوى الله التي توجب معيته سبحانه

يقول المولى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقد بين المفسرون ـ رحمهم الله ـ معنى معية الله سبحانه فذكر الطبري ـ رحمه الله ـ: "أن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه"(١).

وقال الماتريدي ـ رحمه الله ـ: "معهم في التوفيق والهداية"(٢).

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:" أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق"(٣). وقال في موضع آخر قال: "وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يعنكم وينصركم"(٤).

رابعاً: إرادة الله وإذنه سبحانه

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ [التكوير: ٢٩]:

قال البغوي: "أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحدًا لا يعمل خيرًا إلا بتوفيق الله ولا شرًا إلا بخذلانه"(٥).

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: "بين بهذا أنه لا يعمل العبد خيرا إلا بتوفيق الله، ولا شرًا إلا بخذلانه، وقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله لها"(٦).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤/ ٢٤٢).

(٢) تفسير الماتريدي (٥ / ٥١٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٩٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٥٦).

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٨ / ٣٥١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٢٤٣).

ذكر ابن كثير[1] أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨]، قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾[2].

وقول المولى عز وجل: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ "أي الاستقامة واضحة لكم، فمن شاء أخذ في طريق الحقِّ والقصد وهو الإيمان باللهَّ عزَّ وجلَّ ورسوله، ثم أعلمهم أن المشيئَةَ في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذَلِك إلا بمشيئة اللهَّ وتوفيقه فقال:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٩]، ودليل ذلك أيضاً:

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، فهذا إعلام أن الإنسان لا يعمل خيراً إلا بتوفيق اللهَّ ولا شرًّا إلا بخذلانٍ من اللهَّ، لأن الخير والشر بقضائه وقَدَرِه يضل من يشاء ويهدي من يشاء كما قال جَلَّ وَعَزَّ ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]"[3].

يقول المولى عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٢﴾ [فاطر: ٣٢]:

الموفق من وفقه الله تعالى لفعل الطاعات، ويسر له طريقها وأعانه عليها، فإذنه هنا هو أمره الذي لا أمر بعده ولا قبله، وعلى المؤمن أن يعلم أن ما كان بأمر الله يرفع بأمره سبحانه، فمن وفق لخير عليه ملازمة شكر الله على ذلك لأنه لو لم يرد الله له الخير لما كان.

---

(١) تفسير القرآن العظم (٨ / ٣٤٠) وأسباب نزول القرآن للواحدي (ص ٤٥١).

(٢) وهذه الآية الكريمة فيها رد صريح على القدرية ومُنكِير اثبات القضاء والقدر، فقد أخذوا أول الآية وتركوا آخرها، فإن الإيمان بأول الآية يوجب الإيمان بآخرها، فلا مجال للعبث بكتاب الله الله تعالى. يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى: فالمشيئة حقيقة لله وحده ومشيئة العبد تحت مشيئة الله وقدرته وإرادته خيرها وشرها وحسنها وقبيحها ولا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته تعالى، فإن العبد وأعماله مخلوقة لله، قال تعالى. ينظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص٣٢٢) الإبانة الكبرى – ابن بطة (٣/ ٢٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٩٣ـ ٢٩٤) التفسير البسيط (٢٣/ ٢٨٤).

يقول ابن جرير ـ رحمه الله ـ: "فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصي واقترافه الفواحش (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) وهو غير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدًا (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه، فسبقهم بصالح الأعمال وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه (بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول: بتوفيق الله إياه لذلك"(١).

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ يقول السعدي ـ رحمه الله ـ "هو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه {بِإِذْنِ اللَّهِ} راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه"(٢).

خامساً: المداومة على فعل الطاعات

إن حرص المؤمن على فعل الطاعات من فرائض ونوافل من أهم أسباب توفيق الله له يقول السمرقندي ـ رحمه الله ـ عند تفسير قولة تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى: ٢٣].

﴿نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ يقال: نزد له التوفيق في الدنيا، ونضاعف له الثواب في الآخرة(٣).

ويقول السعدي ـ رحمه الله ـ: {وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً } "من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق {نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، وتكون سببا للتوفيق لعمل آخر، ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند الله وعند خلقه، ويحصل له الثواب العاجل والآجل"(٤).



(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٢٠ / ٤٧١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٦٨٩).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٢٤٢).

(٤) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٥٨).

المبحث السابع

موانع توفيق الله للعبد

نقل ابن القيم عن شقيق بن إبراهيم[1] فقال: "قال شقيق بن إبراهيم: أُغلِقَ بابُ التوفيق عن الخلق من ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمة عن شكرها، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل، والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة، والاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم، وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها، قلت: وأصل ذلك عدم الرغبة والرهبة، وأصله ضعف اليقين، وأصله ضعفُ البصيرة، وأصله مهانة النفس ودناءتها واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ، وإلَّا فلو كانت النفس شريفةً كبيرةً لم ترضَ بالدُّون فأصلُ الخير كله -بتوفيق الله ومشيئته- شرفُ النفس ونُبلها وكِبَرها، وأصلُ الشر خِسَّتها ودناءتها وصِغَرها"[2].

وقد أشار الشيخ السعدي إلى مضامين هذا المنع في تفسيره في أكثر من موضع منها:

١. **عدم المبادرة للتوبة والصدق فيها**: وقد ذكر الشيخ في هذا الباب كلاماً مفصلاً سبق ذكره في المطلب الثاني من المبحث الثالث، ومن المناسب ذكره هنا؛ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٧، ١٨]:

---

(١) هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البخلي؛ من مشايخ خراسان، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق، وهو أستاذ حاتم الأصم، وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة، رحمه الله تعالى. ينظر: تاريخ دمشق (٢٣/ ١٣١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٧٥ـ٤٧٦) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٣).

(٢) الفوائد لابن قيم الجزية (ص ٢٥٨).

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: "وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار، ويحتمل أن يكون معنى قوله: {مِنْ قَرِيبٍ} أي: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفاتٍ راسخةً فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة، والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على نفسه باب الرحمة.

نعم قد يوفق الله عبده المصر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: {وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}، فمِن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقَه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدمَ توفيقه والله أعلم"(١).

٢. **كتم العلم وإيثار الضلال على الهدى:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٤-١٧٦]:

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: "وقد تضمنت هذه الآيات، الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه، عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٧٢)، وبهذا قال بعض أهل التفسير، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/ ٨٨)، تفسير الماتريدي (٣ / ٧٧)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٥٥).

العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها، وأن الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق، وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة، والله أعلم"(١).

٣. **البعد عن ذكر الله:** يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧]:

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: {نَسُوا اللَّهَ} فلا يذكرونه إلا قليلا {فَنَسِيَهُمْ} من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين"(٢)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "نسيان الله ترك ذكره"(٣).

ويقول ابن القيم: "«نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم} فجازاهم على نسيانهم له أن نَسِيَهم فلم يذكرهم بالهدى والرحمة، وأخبر أنه أنساهم أنفسهم، فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما الهدى ودين الحق، فأنساهم طلبَ ذلك ومحبته ومعرفته والحرصَ عليه عقوبةً لنسيانهم له"(٤).

ويقول المولى عز وجل مخاطباً عباده المؤمنين: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩]، "أي: لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل؛ ولهذا قال: {أولئك هم الفاسقون} أي: الخارجون عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم"(٥).



---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٨٢)، ينظر الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٣٤).

(٢)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٤٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالف أصحاب الجحيم (١/ ١٠٨).

(٤) الفوائد (ص ١٩٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٣٤٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٧٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أعانني بتوفيقه لإتمام هذا البحث، فلولا فضل الله عليّ وكرمه وتوفيقه لما كان هذا، وأسأله سبحانه التيسير في شأني كله، في خاتمة هذا البحث خلصت إلى مجموعة من النتائج وهي على النحو التالي:

١. أورد السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لفظ التوفق ومشتقاته أكثر من ٨٥ مرة فيما يزد على ١٨ دلالة، تناولت منها ما يسر الله لي تصنيفه.

٢. أن معنى توفيق الله تعالى للعبد هو: أن يوفق للجميع بين عمل الخير والاستطاعة.

٣. أن الهداية لبلوغ أسباب توفيق الله تعالى هي مما خص الله به نفس فقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص: ٥٦].

٤. أن هداية الأنبياء عليهم السلام، ومن سار على نهجهم لدعوة البشرية هي؛ هداية البيان والإيضاح.

٥. أن توفيق الله تعالى للعبد له أسباب، كما أن الحرمان من توفيقه له أسباب، فعلى المسلم تحري أسباب التوفيق والعمل بها، وتجنب أسباب الحرمان والابتعاد عنها.

٦. أن التوبة نوعان: الأول توفيق الله تعالى للعبد للتوبة؛ والثاني قبولها منه سبحانه إذا تحققت شروطها.

٧. أن الثبات على الطاعة توفيق من الله تعالى.

هذا ما منّ به الله علي وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين والحمد لله رب العلمين.



المصادر والمراجع

١. ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المالكي، تفسير القرآن العزيز، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة ، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى.

٢. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي ، مصنف ابن أبي شيبة المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.

٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، تحبير التيسير في القراءات العشر المحقق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان - الأردن- عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥. ابن تيمية، دقائق التفسير الجامع، المحقق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٦. ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

٧. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٠٠م.

٨. ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة السابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٩. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

١٠. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

١١. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تفسير القرآن الكريم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

١٢. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ.

١٤. إسماعيل حقي، بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء، روح البيان، دار الفكر – بيروت.

١٥. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة - مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

١٦. آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ -١٩٧٢ م.

١٧. الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٨. البسام، عبدالله بن عبد الرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الطبعة الثانية، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

١٩. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٢٠. التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٢١. التفسير البسيط، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ.

٢٢. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥)، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٢٣. الجزري، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٥. داوودي، صفوان عدنان، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٦. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٧. الرازي، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، تفسير القرآن العظيم المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.

٢٨. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٩. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٠. رضا كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) الطبعة الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.

٣٢. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨م.

٣٣. السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين المصري الشافعي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق وتعليق: موسى علي موسى مسعود، أشرف محمد بن عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات، الطبعةالأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٣٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٥. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٦. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفسير القرآن المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٣٧. الطالقاني، الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم ، المحيط في اللغة، المحقق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م

٣٨. طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، دار المأثور - دار الأمل الطبعة الثانية، ١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠ م.

٣٩. عبد الرحمن، بن محمد بن قاسم، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

٤٠. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري، مفاتيح الغيب التفسير الكبير المؤلف، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٤١. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصارين الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٤٢. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، تفسير القشيري المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.

٤٣. الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة، لباب التفاسير، تحقيق: أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض:

- ❖ إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي - من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس- ١٤٢٩ هـ.
- ❖ إبراهيم بن محمد بن حسن دومري-من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات- ١٤٢٩هـ.
- ❖ عبد الله بن حمد المنصور - من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء- ١٤٢٩هـ.
- ❖ ناصر بن سليمان العمر - من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء، ١٤٠٤ هـ.

٤٤. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٥. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تفسير الماوردي، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤٦. محمد عزير شمس، الفوائد، راجعه: جديع بن محمد الجديع - محمد أجمل الإصلاحي - علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة الرابعة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

٤٧. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٤٨. النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، الطبعةالأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٤٩. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ.

٥٠. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي، أسباب نزول القرآن المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.



رومنة المصادر والمراجع

1. abin 'abi zamanin, 'abu eabd allah muhamad bin eabd allah bin eisaa bin muhamad almariy, al'iilbiriu almalki, tafsir alquran aleaziza, almuhaqaqa: 'abu eabd allah husayn bin eukashat-muhamad bin mustafaa alkanz, alfaruq alhadithat, masr- alqahirati, altabeat al'uwlaa.
2. abin 'abi shibat, 'abu bakr eabd allah bin muhamad aleabsi alkufiu, musanaf aibn 'abi shibat almuhaqiq: saed bin nasir bin eabd aleaziz 'abu habib alshathari, taqdima: nasir bin eabd aleaziz 'abu habib alshathari, dar kunuz 'iishbilya lilnashr waltawzie, alriyad- alsaeudiati, altabeat al'uwlaa, 1436h - 2015 mi.
3. abn aljazari, shams aldiyn 'abu alkhayr muhamad bin muhamad bin yusif, tahbir altaysir fi alqira'at aleashr almuhaqaqi: 'ahmad muhamad muflih alqudaati, dar alfurqan - al'urduni- eaman, altabeat al'uwlaa, 1421h - 2000m.
4. abin taymiatun, taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin eabd allah bin 'abi alqasim bin muhamad alharaani alhanbali aldimashqi, aiqtida' alsirat almustaqim limukhalafat 'ashab aljahimi, almuhaqaqa: nasir eabd alkarim aleaqla, dar ealam alkutab, bayrut, lubnan, altabeat alsaabieati, 1419h - 1999m.
5. abin taymiatu, daqayiq altafsir aljamiei, almuhaqaqi: muhamad alsayid aljilind, muasasat eulum alquran-dimashqa, altabeat althaaniatu, 1404h.

6. abin jazi, 'abu alqasima, muhamad bin 'ahmad bin muhamad bin eabd allah, alkalbi algharnati, altashil lieulum altanzil almuhaqiqi: alduktur eabd allah alkhalidi, sharikat dar al'arqam bin 'abi al'arqam - bayrut altabeat al'uwlaa 1416 h.

7. abin khalkan, 'abu aleabaas shams aldiyn 'ahmad bin muhamad bin 'iibrahim bin 'abi bakr albarmakiu al'iirbili, wafayat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzamani, almuhaqiqi: 'iihsan eabaas, dar sadir - bayrut, altabeat al'uwlaa 1900m.

8. abin rajaba, zayn aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin shihab aldiyn albaghdadi thuma aldimashqi, jamie aleulum walhukm fi sharh khamsin hadithan min jawamie alkalmu, almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwt-'iibrahim bajis, muasasat alrisalat, bayrut altabeat alsaabieati, 1417 hi - 1997 m.

9. abin eajibat, 'ahmad bin muhamad bin almahdi bin eajibat alhusni al'anjariu alfasiu alsuwfiu, albahr almadid fi tafsir alquran almajid almuhaqaqi: 'ahmad eabd allah alqurashi raslan, alduktur hasan eabaas zaki, alqahirat, altabeatu: 1419 hu.

10. abin eatiat, 'abu muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin tamaam al'andalusi almuharibi, almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz almuhaqaq: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, dar alkutub aleilmiat - bayrut altabeat al'uwlaa 1422 h.

11. abin qiam aljawziati, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyni, tafsir alquran alkarim, almuhaqaqi: maktab aldirasat walbuhuth alearabiat wal'iislamiat bi'iishraf alshaykh 'iibrahim ramadan, dar wamaktabat alhilal - bayrut, altabeat al'uwlaa 1410 hi.
12. 'abu alsueud aleimadii, muhamad bin muhamad bin mustafaa ،'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitab alkarim, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
13. 'abu hayan, muhamad bin yusif bin eali bin yusif bin hayaan 'uthir aldiyn al'andilsi, albahr almuhit fi altafsir, almuhaqiqa: sidqi muhamad jamil, dar alfikr - bayrut, altabeat 1420 hi.
14. 'iismaeil haqi, bin mustafaa al'iistanbuli alhanafii alkhulwati almawlaa 'abu alfida'i, ruh albayan, dar alfikr - bayrut.
15. al'asbhani, 'abu naeim 'ahmad bin eabd allah, hilyat al'awlia' watabaqat al'asfia'i, matbaeat alsaeadat - masr, 1394 hi - 1974 mi.
16. al alshaykh, eabd alrahman bin eabd allatif bin eabd allh bin eabd allatif bin eabd alrahman bin hasan bin muhamad bin eabd alwahaabi, mashahir eulama' najid waghayruhum, dar alyamamat lilbahth waltarjamat walnashri, alrayadi, altabeat al'uwlaa, 1392 hi -1972 mi.
17. al'iiji, muhamad bin eabd alrahman bin muhamad bin eabd allah alhusni alhusayni alshafey, jamie albayan fi tafsir alqurani, dar alkutub aleilmiat - bayrut altabeatu: al'uwlaa, 1424 hi - 2004 mi.

18. albisam, eabdallh bin eabd alrahman, eulama' najid khilal thamaniat qurun, altabeat althaaniati, dar aleasimati, 1419h.

19. albidawi, nasir aldiyn 'abu saeid eabd allah bin eumar bin muhamad alshiyrazi, 'anwar altanzil wa'asrar altaawili, almuhaqaqa: muhamad eabd alrahman almaraeashali, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut altabeata: al'uwlaa - 1418 h.

20. altustry, 'abu muhamad sahl bin eabd allah bin yunis bin rafie tafsir altastri, jameaha: 'abu bakr muhamad albaladi, almuhaqaqa: muhamad basil euyun alsuwd alnaashir: manshurat muhamad eali baydun - dar alkutub aleilmiat - bayrut altabeatu: al'uwlaa - 1423 hu.

21. altafsir albasiti, 'asl tahqiqih fi (15) risalat dukturat bijamieat al'iimam muhamad bin saeud, thuma qamat lajnat eilmiat min aljamieat bisabkih watansiqih alnaashir: eimadat albahth aleilmii - jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, altabeatu: al'uwlaa 1430 hi.

22. alttafsir albasit, almuhaqiqi: 'asl tahqiqih fi (15), risalat dukturah, jamieat al'iimam muhamad bin saeud, eimadat albahth aleilmi, jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, altabeat al'uwlaa, 1430 hi.

23. aljazary, aibn al'uthir majd aldiyn 'abu alsaeadat almubarak bin muhamad bin muhamad bin muhamad aibn eabd alkarim alshiybani, alnihayat fi gharib alhadith wal'athra, tahqiqu: tahir 'ahmad alzaawaa - mahmud muhamad altanahi, almaktabat aleilmiat - bayrut, 1399h - 1979m.

24. alkhazin, eala' aldiyn eali bin muhamad bin 'iibrahim bin eumar alshiyhi 'abu alhasan, libab altaawil fi maeani altanzili, tashihu: muhamad eali shahin, dar alkutub aleilmiat - bayrut altabeat al'uwlaa, 1415 h.
25. dawwdi, safwan eadnan, alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, dar alqalami, aldaar alshaamiatu, dimashqa- bayrut altabeat al'uwlaa, 1415 h.
26. aldhahabi, shams aldiyn muhamad bin 'ahmad bin euthman, sayar 'aelam alnubala' tahqiqu: majmueat min almuhaqiqin bi'iishraf alshaykh shueayb al'arnawuwt taqdima: bashaar eawad maerufun, muasasat alrisalat altabeat althaalithati, 1405 hi - 1985 ma.
27. alraazi, aibn 'abi hatim 'abu muhamad eabd alrahman bin muhamad bin 'iidris bin almundhir altamimiu alhanzali, tafsir alquran aleazim almuhaqaqa: 'asead muhamad altayib, maktabat nizar mustafaa albaz - almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat althaalithata, 1419 hi.
28. alraazy, zayn aldiyn 'abu eabd allah muhamad bin 'abi bakr bin eabd alqadir alhanafii, mukhtar alsahahi, almuhaqaqa: yusif alshaykh muhamad, almaktabat aleasriatu-aldaar alnamudhajiatu, bayrut - sayda altabeat alkhamisati, 1420h - 1999m.
29. alraaghib al'asfahani, 'abu alqasim alhusayn bin muhamad, tafsir alraaghib tahqiq wadirasatu: muhamad eabd aleaziz basyuni, kuliyat aladab, jamieat tanta, altabeat al'uwlaa 1420 hi - 1999 mi.

30. rida kahalati, eumar bin rida bin muhamad raghib bin eabd alghanii aldimashqi, muejam almualifina, maktabat almuthanaa - bayrut, dar 'iihya' alturath alearabi- bayrut.

31. zad almuead fi hady khayr aleabadi, dar eata'at aleilam (alriyad) - dar abn hazam (biruta) altabeat althaalithati, 1440 hi - 2019 mi.

32. alzujaji, 'iibrahim bin alsiri bin sahla, 'abu 'iishaq alzajaji, maeani alquran wa'iierabuh tahqiqu: eabd aljalil eabduh shalabi, ealim alkutub - bayrut, altabeat al'uwlaa 1408 ha-1988m.

33. alsskhawi, 'abu alhasan eali bin muhamad bin eabd alsamad ealam aldiyn almisriu alshaafieayi, tafsir alquran aleazimi, tahqiq wataeliqu: musaa eali musaa maseud, 'ashraf muhamad bin eabd allah alqasaasu, dar alnashr liljamieati, altabeatal'uwlaa, 1430 hi - 2009 mi.

34. alsaeidi, eabd alrahman bin nasir bin eabd allah, taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanan almuhaqaqi: eabd alrahman bin maeala alllwayahaqi, muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa 1420h - 2000m.

35. alsamarqandi, nasr bin muhamad bin 'ahmad bin 'iibrahim, bahr aleulumi, dar alkutub aleilmiati, altabeat al'uwlaa, 1413hi.

36. alsameani, 'abu almuzafar, mansur bin muhamad bin eabd aljabaar aibn 'ahmad almarawzaa altamimiu alhanafiu thuma alshaafieay, tafsir alquran almuhaqaqi: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabaas bin

ghunimi, dar alwatan, alriyad - alsaeudiatu, altabeat al'uwlaa, 1418hi-1997m.

37. altaalqani, alsaahib bin eabadi, 'iismaeil bin eabaad bin aleabaas 'abu alqasim, almuhit fi allughati, almuhaqaqi: muhamad hasan al yasin, ealim alkutab, bayrut, altabeat al'uwlaa, 1414 hi - 1994m
38. tantawi, 'abu eabd alrahman earfat, maealim altawhid fi fatihat alkitabi, risalat dukturah fi altafsir waeulum alqurani, dar almathur - dar al'amal altabeat althaaniatu, 1441 hi - 2020 mi.
39. eabd alrahman, bin muhamad bin qasimi, majmue alfatawaa, majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsueudiat, 1416h-1995m.
40. fakhr aldiyn alraazi, 'abu eabd allh muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymiu khatib alray, mafatih alghayb altafsir alkabir almualafu, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut altabeat althaalithat 1420 ha.
41. alqurtibi, 'abu eabd allah, muhamad bin 'ahmad al'ansaryn aljamie li'ahkam alquran tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriat - alqahiratu, altabeat althaaniatu, 1384h - 1964 mi.
42. alqishiri, eabd alkarim bin hawazin bin eabd almalk, litayif al'iisharati, tafsir alqushiri almuhaqiqa: 'iibrahim albasyuni alnaashir: alhayyat almisriat aleamat lilkitab - masir, altabeat althaalithati.

43. alkarmani, 'abu alqasim mahmud bin hamzat, libab altafasir, tahqiqu: 'arbae rasayil dukturah biqism alquran waeulumih bikuliyat 'usul aldiyn fi jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiat-alriyad:

- 'iibrahim bin ealii bin walii alhikmi - min 'awal surat s 'iilaa akhar surat alnaasi- 1429 hu.
- 'iibrahim bin muhamad bin hasan dumari-min 'awal surat alkahf 'iilaa akhar surat alsaafaati-1429hi.
- eabd allh bin hamd almansur - min 'awal surat almayidat 'iilaa akhar surat al'iisra'i- 1429hi.
- nasir bin sulayman aleumar - min 'awal surat alfatihat 'iilaa akhar surat alnisa'i, 1404 hu.

44. almatridi, muhamad bin muhamad bin mahmud, 'abu mansur, tafsir almatiridi (tawilat 'ahl alsunati), almuhaqaqi: majdi baslum, dar alkutub aleilmiat - bayrut, lubnan altabeat al'uwlaa, 1426 hi - 2005 mi.

45. almawirdi, 'abu alhasan eali bin muhamad bin muhamad bin habib albasari albaghdadii, tafsir almawirdi, alnukt waleuyuni, almuhaqiqi: alsayid aibn eabd almaqsud bin eabd alrahim, dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan.

46. muhamad eazir shams, alfawayida, rajaeha: jadie bin muhamad aljadie - muhamad 'ajmal al'iislahii - ealiin bin muhamad aleumran, dar eata'at alealam (alriyad) - dar aibn hazam (biruta) altabeat alraabieati, 1440 hi - 2019 mi.

47. muqatili, 'abu alhasan muqatil bin sulayman bin bashir al'azdii albalkhaa, tafsir muqatili, almuhaqiqa: eabd alrahman bin maeala alllwayahaqi, muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa 1420h -2000 m.

48. alnuemani, 'abu hafs siraj aldiyn eumar bin eali bin eadil alhanbali aldimashqi, allabab fi eulum alkitabi, almuhaqaqi: alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad, dar alkutub aleilmiat, bayrut - lubnan, altabeatal'uwlaa, 1419 ha -1998m.

49. alnysaburi, nizam aldiyn alhasan bin muhamad bin husayn alqumi, gharayib alquran waraghayib alfirqan, almuhaqiqi: zakariaa eumayrat, dar alkutub alealamihi, bayrut, altabeat al'uwlaa - 1416hi.

50. alwahidi, 'abu alhasan eali bin 'ahmad bin muhamad bin eali alnnysaburi, alshaafieii, 'asbab nuzul alquran almuhaqaqi: eisam bin eabd almuhsin alhumaydan, dar al'iislahi, aldamaami, altabeat althaaniati, 1412 hi - 1992 mi.

